الإسلام
والقومية العلمانية

بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق الطبع محفوظة

1915هـ - 1995 م

* الكتاب : الإسلام والقومية العلمانية

* الكاتب : عبد السلام ياسين

* الطبعة : الثانية 1995 .

* الناشر : دار البشير للثقافة والعلوم الإسلامية

* التوزيع : دار البشير - طنطا - أمام كلية التربية النوعية . ت . 114

* التجهيز الفني : شركة الندى للتجهيزات الفنية . المحلة الكبرى . ص . ب ٠

* الإيداع القانوني : 94 / 11569

* الترقيم الدولي : I . S . B . N 977 - 5065 - 97 - 6

دار البشير للثقافة والعلوم الإسلامية

طنطا : 33 ش الشهيد عادل الزواوى أمام كلية التربية النوعية

ت : 322404 فاكس : 331800

الإسلام
والقومية العلمانية

تأليف

عبد السلام ياسين

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

هذا الكتاب يطمح إلى عرض مسألة لا يمكن للفكر الإسلامى أن يتجاوزها : هى مسألة القومية وعلاقتها بالعلمانية .

إن المثقفين المسلمين ، من بقى منهم على موروثه الفطرى الإسلامى ومن تنكر لدينه، ينشغلون انشغالا كثيرا بالبحوث فى التراث والأصالة والأمجاد القومية ، ينسجون من كل هذه المفاهيم طيلسانا يتقنعون به ليزدانَ فى أعينهم الواقع الكئيب لمجتمعاتهم . فى هذا الكتاب نصطنع اللغة التى يألفها المثقفون لنحاورهم محاولين إسماع كلمة الإسلام .

إن الله عز وجل حين خلق الإنسان وذرأه لم ينبته فى أرض عراء ، وإنما أنشأه فى حضن قوم رَعَوْا نشأته . فمن الفطرة التى يتخذها الإسلام أساساً عليهِ يكملُ البناء العاطفى الفكرى السلوكى للمسلم : أسبابُ الصلة بين الإنسان وقومه . حيث يأمر دينُ الله القويم بحسن صحبة الوالدين وذوى القربى ولا ينكر إلا الحمية الجاهلية وهى العصبية القومية .

فى هذا الكتاب نعرض إن شاء الله لشىء من تاريخ الإيديولوجية القومية التى نبعت فى أرض غير أرضنا فاستوردها المثقفون المغربون من ذرارينا ليركبوا متنها فى كراتهم التى تحمل شعارات الإلحاد المفلسف تارة والردة والزندقة مرة والإلحاد العلمى أحيانا والأصالة التراثية أحيانا أخرى .

ومن خلال العرض التاريخى نقول رأينا الإسلامى .

وعلى الله قصد السبيل .

عبد السلام ياسين

سلا 15 ربيع II 1409

الفصل الأول

اللسان العربى

الولاء للغة

إن ألفاظ كل لغة تحمل المعانى الدارجة عند أهل كل لغة كما تحمل اللغة بمجموعها ، نحوها وتركيبها وبلاغتها ، شعرها ونثرها وأمثالها ، تجربة الشعب الناطق بها حساسيته وفكره وأسلوبه فى الحياة ونظرته للإنسان ، ومكانه فى الكون ، ومصيره وقيمه . لكنها تمثل فى نفس الوقت رباطاً أساسيا يلم المجتمع ، رباطا يقرب بين الناس وإن اختلف العرق واختلف الدين .

فإذا كان الرباط الدينى ضعيفا بانسلاخ الناس عن الدين ، واجتمع رباطا العرق واللغة فقد يستطيعان حرب الدين ويكونان خطرا عليه . وهذا بالضبط ما يحدث فى بلاد العروبة ، إذ نرى زعماءها ، وفى مقدمتهم النصارى العرب الذين يريدونها قومية ناطقة بلغة الضاد لا بلغة القرآن ، ينشدون أمجاد اللغة العربية ، ويتيهون هياما بها ويرفعونها مكانا ساميا .

إنها نوع وثنية ، حيث تستحيل اللغة هى الروح ، هى الأصل والفصل ، هى الحاضر والمستقبل ، هى التاريخ والحقيقة ، هى الكل .

ولاء العرب القوميين للغة التى نزل بها القرآن كولائنا للقرآن . نحب هذه اللغة ونعتبرها كما يعتبرون أجمل اللغات وأشرفها . وإذن فها قد وجدنا جسرا متينا للحوار والتقارب والتفاهم ما دمنا نعشق نفس الملاحة .

هكذا يخيل لمن يكتفى بملاحظة الظاهرة دون الكشف عن الأسباب أو لمن يسعى أن يمد الجسور ويبسط يد التفاهم بأى ثمن . عندما نغتبط بامتلاك لغة شرفَّها الله عز وجل واختارها لينزل إلينا فيها ذكره ، يعتبر العروبيون بأن العروبة قدمت للإسلام وللقرآن هذه اللغة العبقرية . عندما ننظر إلى صنع الله عز وجل حيث خلق قوما ودرجهم فى أطوار النشأة حتى تطورت لديهم لغة كان الله عز وجل فى سابق علمه هيأها لتكون وعاء لوحيه كما هيأ رجلا من بين أولئك القوم لتلقى ذلك الوحى ، يرى العروبيون أن عبقرية الأسلاف ونباهة العرق وشرف الأرومة معطيات (موضوعية) أفرزت اللغة العبقرية

وأفرزت النبى . فشتان ما بيننا . إن العروبة فى محنتها التاريخية الحاضرة ، وهى محنة المسلمين ، تتشبث باللغة العربية كما يتشبث الغريق بيد منقذه . فعليها معولهم وإليها مرجعهم من كل خيبة . بها ومنها النهضة ، وبها الحياة والبطولة ، لسر عظيم يقدرونه لها كما نؤمن نحن باللّه عز وجل وتأييده . يقول زكى أرسوزى وهو من المؤسسين الأولين لحزب البعث العربى ورواده : « أمنية كل عربى هى أن يكون بطلا ، وأن يكون شاعراً ، ينشد روعة أعماله ومناقب أجداده» . إن ذلك يتم « بالعودة إلى لغتنا التى هى أبلغ مظهر لتجلى عبقرية أمتنا ، إن لغتنا لهى مستودع تراثنا ، فإذا ما وعينا ما تضمنت كلماتها من حدس ، بلغنا ما بلغ أجدادنا من عزة وسؤدد . مثَل كلمات لغتنا كمثل البذر من النبات . تضمر (يقصد تختفى) فيها المعانى ضمور الحياة فى البذر (...) فقد أصبح البعث عندنا العودة إلى الينبوع ، إلى الحدس المتضمن فى الكلمات ، كالعدالة والنظام والشعر والجمال...» (1).

تأثير الشاعرية الرومانطيقية لفلسفة فخت الألمانى واضحة . وقد كان لفلاسفة الألمان ودعوتهم إلى اللغة الألمانية الممجدة فى خطابهم وفكرهم اليد الطولى فى استنهاض الحماس الشعبى الذى مهد لتوحيد ألمانيا .

★ ★ ★

(1) نقلاً عن مجلة « الفكر العربي» العدد 22 ، سبتمبر 1982

العروبة والإسلام

فى اللغة يكمن المخزون الحدسى ، ينبوع العبقرية والحياة فى نظر العروبيين . مجرد الرجوع للغة يفتح مصبات ذلك الينبوع الثرار . وتلك أحلام تناسب تماماً الانفعالية القومية التى تتجلى فى ميدان السياسة شعاراتٍ ملتهبة ، وتعوض الهزائم العسكرية والفشل فى الحكم والوعود المخلفة فى ميادين الاقتصاد بالخطب الرنانة التى ترفع العربى القح إلى سماء السؤدد والنخوة منذ عهد أجدادنا فى عكاظ ومحافل العروبة .

امتداد بين الجاهلية والإسلام فى العاطفة والانفعال ، و« **العبقرية**» كما هو امتداد فى النسب . هكذا الأمر فى الوعى القومى . وما الإسلام إلا ظاهرة طارئة ، ثمرة من ثمرات الأمجاد العربية .

أما نحن فإن لنا تعلُّقا خاصا باللغة القرآنية ، تعلقا هو من الدين ، من صميم الدين ، لأن شكل اللغة لا يمكن فصله عن مضمون الرسالة . اللغة العربية هى الوعاء ، هى الرحم ، هى الجسم . جمالها ليس هو القيمة ، لكن القيمة ما حمله إلى عقلنا وقلبنا ذلك الجمال . بيانها ليس الغاية والمنى لكن ما أبانه من معان . قال اللّه عز وجل : ﴿ **إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون** ﴾ (2) . وقال عز من قائل يخاطب رسولَه ﷺ : ﴿ **لِتكون مِن المُنذرينَ بِلسان عربيٍ مبينٍ** ﴾ (3) .

ثم إن القرآن كلام اللّه عز وجل لفظا ومعنى . ما هى الألفاظ العربية من كلام اللّه حتى تكون فى التركيب القرآنى . وعندئذ فقط يكون اللفظ بالقرآن فى الصلاة مجزئا ، وتكون الصلاة صلاة . وما من مسلم ومسلمة يحرصان على دينهما إلا يتعلمان حدا أدنى من القرآن الكريم بلفظه العربى ، فيكون ذلك وصلة لكلام اللّه عز وجل ، وشرطا فى صحة العبادات وشعورا إيمانيا لا يعوضه شىء غير التبلغ أو التضلع من الكتاب العربى المبارك .

إن من أسماء القرآن الكريم « الذكر» . هو تبصرة وذكرى فى أعماق الفطرة

---

(2) الزخرف : 3 .

(3) الشعراء :195 .

الإنسانيه ، استعداد لسماع النداء الإلهى الذى يتضمنه القرآن . لذلك نشاهد تأثير القرآن الكريم متلوا مجودا أو مقروءا نصا على السامع والقارئ . فما بالك بتأثيره على العرب الأولين الذين سمعوه سمعين : سمع الفطرة وسمع الاستعداد الخاص بأذن عربية وعاطفة عربية واستئناس بالبلاغة والجرس . فالقرآن يذكر الناس بما فى أعماق الفطرة ، ويذكر العرب على مستويين اثنين .

ما من كتاب سكن فى أعماق أهل لغة ما سكن القرآن . ولا كان أبلغ تأثيرا ، ولا أشد حفزا للعزائم ولا أدعى للاحترام والتقديس . ولا أقدر على صرف وجوه الناس وقلوبهم وعقولهم وجهودهم للجهاد حتى الموت فى سبيل اللّه . ما كان ذلك ولا يكون بخاصية فى اللغة العربية ، إنما كان ويكون بما تحملته اللغة العربية من بركات الوحى الإلهى ، وما تغشاها من هيبته . إن اللّه تبارك وتعالى خَالِقُ العرب وخالق لغتهم وخالق استعداداتهم الفطرية . وقد جعل سبحانه فى المحل الذى اختاره لتجلى وحيه وظهور رسوله ورسالته ظروفا قابلة لتلقى كل ذلك ، صالحة لحمله ونصره . وكانت عروبة العرب اللغوية مكملا لاستعداداتهم الأخرى المواكبة والمساعدة . اجتمع كل ذلك ، فتبلور خيرا وقوة ، أخلاقا ورجولة ، فى القالب الإسلامى وبالروح الإسلامية .

لا ننكر أن للعرب والعروبة مزايا منيفة ، لكن تلك الاستعدادات التى أصبحت مزايا بفضل الإسلام كانت رزايا فى عروبة العرب الجاهلية . كذلك ننتظر ونرجو أن يعيد اللّه عز وجل رحمته بالعرب فتظهر فى عرب اليوم تلك الاستعدادات التى هيأ لها الأسباب فظهرت أوّل مرة لتحمل عبء الرسالة ، تلك الاستعدادات الفطرية العزيزة التى تكمن اليوم فى العرب ، ويطمرها أكثر ما يطمرها أحلام العروبة العلمانية التراثية وأوهامها.

مزية الكرم كانت فى الجاهلية ذريعة ليعدو العرب بعضهم على بعْض فى الغارة ، وليقامر بعضهم بعضا فى الميسر ، وليرابئ بعضهم بعضا ليجمع ما به ينحر الجزر ويوقد نار القِرى وينال ثناء فحوَل الشعراء . علمهم الإسلام كسب الحلال وبذل الفضول ، ليكون الكرم تكملة لنسيج المجتمع الأخوى . وهكذا الشجاعة العربية التى كانت تستنفد فى الحروب والمبارزات والتناصر، رفعها الإسلام فأصبحت بأسا على أعداء الإنسانية . وهكذا شيمة الحرية والأنفة وإباء الضيم ، رفعها الإسلام من حضيض العصبية القبلية ـ حضيض

العصبية القـومية اليوم ـ إلى ذرى العزة باللّه ورسوله . وهكذا شيم الوفـاء وسرعة البديهة وحب المدح والثناء الحسن . الإِسـلام مجد العـرب وشرفهم ، فمـتى اعتزوا بغيـر الإِسلام ذلوا على حد قول سيدنا عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه .

★ ★ ★

« جزء ماهيته »

هذه عبارة مألوفة عند علماء الأصول ، معناها أن العربية جزء لا يتجزأ من الدين ، إذ هى حاملته وحاضنته . ومتى دخلت العجمة اللسان ، أو حال حائل العجمة دون فهم البيان فقد انغلق ما كان مفتوحا من أبواب الفقه وهو أعظمها ، وسارعت إلى الناس الهلكة . أخرج البخارى فى تاريخه الكبيرأن الحسن البصرى رحمه اللّه قال : « **إنما أهلكتكم العجمة !** » .

وقد اتفق علماء الأصول على أن أول آلات المجتهد فهم اللغة العربية فهما واسعا . وفصل الإمام الغزالى رحمه اللّه الكلام فى الحد الأدنى من علم اللغة الضرورى للمجتهد فقال : « إنه القدر الذى يفهم به الخطاب العربى ، وعادتهم فى الاستعمال حين يميز بين صريح الكلام ، وظاهره ومجمله ، وحقيقته ومجازه ، وعامه وخاصه ، ومحكم ومتشابهه ، ومطلقه ومقيده ، ونصه وفحواه ، ولحنه ومفهومه . وهذا لا يحصل إلا لمن بلغ فى اللغة درجة الاجتهاد » (4) .

يقتضى هذا أن يكون للمجتهد المتصدى لفهم كتاب اللّه وسنة رسوله التبحر التا فى نحو اللغة وصرفها وبلاغتها حتى يستشف ما يحمله ظاهر اللفظ وما يستتر ور التراكيب من دقيق المعانى ولطيف التعابير . بذلك فقط يمكنه أن يستخرج الأحكا الشرعية . فلا تقل صحة فهم اللغة عن أهمية صحة النص .

فإن دخلت العجمة فى اللسان أو حالت عجمة القلب والعقل عن النفوذ إلى أسر اللغة فلا أمل فى أن يبلغ النداء الإلهى محله من الوعى ، ولا أن تستشرف العقو المستعجمة المستغربة إلى مجالى العلم بكتاب اللّه وسنة رسول اللّه ﷺ . ولا يغرينا تبج قوم بفهم العربية ، يتصدرون لبسط إيديولوجياتهم ينسبونها للإسلام ويلفقونها حول آيا من القرآن ، يموهون باطلاعهم الموسوعى وبهرجة اللفظ وزخرف القول . روى الإ أحمد رحمه اللّه عن سهل بن سعد رضى اللّه عنه أن رسول اللّه ﷺ قال : « اللهم

---

(4) نقلا عن كتاب « تاريخ المذاهب الفقهية » لأبي زهرة رحمه اللّه ، جزء 2 ، ص 110 .

تدركنى زمانا ــ أولا تدركوا زمانا ــ لا يُتبَع فيه العليم ، ولا يُستحيَى فيه من الحليم ، قلوبهم قلوب الأعاجم وألسنتهم ألسنة العرب . » وليس المقصود من الحديث الشريف أعاجم اللسان من المؤمنين ، بل عجمة القلب هى انغلاقه عن الإيمان .

من أهم أسباب هذه العجمة القلبية العقلية انصراف ذرارى المسلمين من هذا النشء المستغرب عن تلقى الدين من العلماء به ، وتلقيهم عن فلاسفة الكفار . قال الإمام الشافعى رضى اللّه عنه : « ما جهل الناس ولا اختلفوا إلا لتركهم لسان العرب وميلهم إلى لسان أرسطوطاليس . » لا شك أن ما قصده الإمام بلسان أرسطوطاليس ليس اللغة اليونانية فى حد ذاتها ، لكن منطق الفلاسفة ومذهبهم . بيد أن مداخلة لسان أعجمى ذى مضمون كفرى لا تلبث أن تجر المثقف إلى تشرب روح تلك الثقافة الكافرة . إذ لا يمكن هنا أيضا أن نفصل بين اللغة وما تحمله وتتضمنه من رسالة . فاللغة المادية الإلحادية « جزء ماهية » الكفر . وهنا تعترضنا مشكلة عويصة لمستقبل الإسلام ، وهى كيف نتعلم لغات العلوم ونحذقها دون أن تعدينا فلسفة تلك اللغات وكفرها .

إن هذه الذريعة الخطيرة المفتوحة فى جنب الأمة تدخل إلينا منها رياح الفلسفة المادية ، ذريعة وثغرة اللغات الأعجمية ، لفى حاجة إلى علاج سريع . والمشكلة ذات حدين : الضرورة الملحة لامتلاك تلك اللغات بصفتها حاملة العلوم والتكنولوجيا ، وكيف يمكن أن تقيم حاجزا بين متعلم لغة ما وبين ما تتضمنه من عقائد وقيم ؟ العلاج تربوى شامل ، فما لم يتحصن المتعلم من داخله ، ما لم يصلب عوده على الاستقامة ، وما لم تكتمل شخصيته الإيمانية فتعريضه للاحتكاك بلغة أعجمية مخاطرة . أكتب هذا فى سنة 1985 بتاريخ النصارى ، سنة من سنوات استفحال الغزو الثقافى : فى عقر كل بيت من بيوتنا معقل للتغريب والتَّعجيم ، فيديو ، آلات التقاط لرسائل الأقمار الصناعية اللاحنة بكل لحن .

كان تحرز أسلافنا رحمهم اللّه من العجمة شديدا ، فلذلك كان علماؤهم يخالطون عرب البادية يخشون من خلطة أنباط المدن وأعاجمهم . فكان أئمة اللغة حجة يرجع إليها الفقهاء والمجتهدون . والإمام الشافعى رحمه اللّه نفسه قضى زمانا فى البادية ليتعلم اللغة لعربية البريئة من كل عجمة .

أخرج البيهقى فى الشعب عن الأصمعى قال : جاء عمرو بن عبيد إلى أبى عمرو بن العلاء يناظره في وجوب عذاب الفاسق . فقال له : يا أبا عمرو ! آللّه يخلف وعده؟ فقال: لن يخلف اللّه وعده . فقال عمرو : فقد قال : وذكر عمرو آية فيها وعيده . فقال أبو عبيد: من العجمة أُتيتَ ! الوعد غير الإيعاد ثم أنشد :

وإنـــى إذا أوعـــدتـــه أو وعـــدتـــه ** لمخلـف إيعـادى ومنـجـز موعـدى

أرأيت كيف كانت لفظتان قريبتا المبنى متناقضتا المعنى ، الوعد والوعيد ، تختلطان فى ذهن غير خبير بفصاحة العربية ، فأدى ذلك لفهم مخالف . وإن كثيرا من الخلافات المذهبية فى العقائد والفقه إنما مرجعه للتفاوت فى فهم اللغة كما قال الشافعى رحمه اللّه .

وعلى الكفاءة فى فهم اللغة تتفاوت مراتب الباحثين فى الشريعة . قال الإمام الشاطبى رحمه اللّه : « إذا فرضنا مبتدئا فى فهم العربية ، فهو مبتدئ فى فهم الشريعة ، أو متوسطا فهو متوسط فى الشريعة ، والمتوسط لم يبلغ درجة النهاية . فإذا انتهى إلى الغاية فى العربية كان كذلك فى الشريعة ، فكان فهمه فيها حجة كما كان فهم الصحابة وغيرهم من الفصحاء الذين فهموا القرآن حجة . فمن لم يبلغ شأوه فقد نقصه من فهم الشريعة بمقدار التقصير عنه . وكل من قَصُر فهمه لم يكن حجة ولا كان قوله قولا مقبولا . » (5) .

★ ★ ★

(5) المصدر السابق ، ص : 111 .ظ.

إعـجـاز الـقـرآن

فَهْمُ الصحابة رضى اللّه عنهم معيار للفهم ، وحجة للفقيه . ذلك أن سليقتهم العربية، ثم التربية النبوية والتعليم ، وما وقر بتلك التربية فى القلوب من إيمان ، قرّبت إليهم المأخذ . ثم كان من بعدهم من علمائنا من لم يحظوا بتلك التربية ، ولا هم أهل سليقة ، فكان لابد لهم من التبحر فى اللغة ليعرفوا فضل القرآن ، وليفتح لهم باب عقلى للفهم فيه ينيره الإيمان والتقوى . قال ابن قتيبة رحمه اللّه فى كتاب تأويل مشكل القرآن : « إنما يعرف فضل القرآن من كثر نظره ، واتسع علمه ، وفهم مذاهب العرب ، وافتنانها فى الأساليب ، وما خص اللّه به لغتها دون جميع اللغات . فإنه ليس فى جميع الأمم أمة أوتيت من العارضة والبيان واتساع المجال ما أوتيته العرب خصيصا من اللّه لما أرهصه [أى لما سبق فى علمه سبحانه] فى الرسول ﷺ وأراده من إقامة الدليل على نبوته والكتاب ، فجعله علمه كما جعل علم كل نبى من المرسلين من أشبه الأمور لما فى زمانه المنبعث فيه »(6) .

أمة العرب أوتيت العارضة وحاسة البيان وذوق البلاغة ، لهذا جاءتها المعجزة من هذا القبيل . وهى معجزة خالدة ، فعسى الله أن يفتح قلوب العرب المحدثين للاستماع لرسالة الله كما فتح قلوب الأولين . أم ترى فسد ذلك الحس ، وانطفأت تلك العارضة ، واختلط ذلك الذوق الذى كان رائقا فى الجدود ؟ ترى إلى أى حد تحول العجمة القلبية عن سماع القرآن السماع الكلى المطلوب ولو تهاتفت الألسن بالعروبة ؟

أذعنت العرب لبلاغة القرآن ، فما وسع عظماء قريش إلا أن يعترفوا بما لم يكن فى وسعهم إلا الاعتراف به ، إذ قال قائلهم لما سمع من النبى ﷺ : « والله ما منكم أعرف بالشعر منى ، ولا أعرف برجز الشعر وقصيده منى ! والله ما يشبه الذى يقوله شيئا من هذا ! والله إن لقوله لحلاوة ! وإن عليه لطلاوة ! وإنه لمثمر أعلاه ، مغدق أسفله ! وإنه يعلو ولا يعلى عليه وإنه ليحطم ما تحته ! » .

---

(6) نقلا عن السيوطي رحمه الله في كتابه : « صون المنطق والكلام عن فني المنطق والكلام » ص . 23 ، دار الكتب العلمية بلا تاريخ .

لكن عنادهم وكفرهم منعاهم من بناء الإيمان على الإذعان . فقاوموا التنزيل وصاحب الرسالة بكل وسائل المقاومة . ومن أهمها منعهم العرب من الاستماع لدعوة الرسول ﷺ التى كان لبها وأسلوبها تلاوة الآيات البينات . وآذوا أبا بكر الصديق رضى الله عنه لما اتخذ فى حوش بيته مجلسا يتلو فيه القرآن فيجتمع أبناء العرب ونساؤهم ليستمعوا التلاوة . وقد أخبر الله عز وجل عن ذلك حيث قال : ﴿ **وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون .** ﴾ (7) .

إن أولئك العتاة لم يكونوا يحسنون نفاق الشعارات ، لم يكونوا يخفون نياتهم تحت عبارات « الحوار المفتوح » ، وتحت الإشادة بهذا « التراث العظيم » . كان الخطاب الإلهى ناصعا فى بيانه ولا يزال ، كان قويا فى وَقعه على الفطرة ولا يزال . أولئك العتاة الأولون قاوموا وقعه المباشر بالحجز الساذج المباشر كما فعل قوم نوح من قبل حين غطوا آذانهم بالأصابع وغطوا وجوههم بالثياب فعلّة مجتمع طفولى . قال نوح عليه السلام كما حكى الله عز وجل عنه : ﴿ **وإنى كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم فى آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا** ﴾ (8) .

وفى هذا العصر عتاة تدفعهم للإنكار نفس النية ، ويدفعهم الاستكبار ، لكنهم يصمون آذانهم وآذان الناس عن السماع والاستماع بوسائل متطورة هيأها المجتمع المتحضر . إنهم يجعلون بين الناس والقرآن حجابا كثيفا اسمه « التراث » .

قرأت لمستغرب مستشرق ، واحد من الأساتذة الأكاديميين المتخصصين فى دراسة « التراث » حين سألوه : « كيف تفهم الإسلام ؟ » فأجاب متعجبا بما معناه « كيف تريد منى أن أفهم الإسلام قبل أن أقرأ كل ما كتب عن الإسلام ؟! » هذا وأمثاله ينصبون أمام أنفسهم حاجزا هائلا من إنتاج البشر يتقون به الحق ، يحتجبون وراءه لكى لا يسمعوا كلام الله من حيث هو كلام الله . إنما القرآن عندهم نص من النصوص بحاجة إلى أن « يعيدوا قراءته » مستندين إلى المناهج اللسانية البنيوية التى تؤسس لهم فهماً تشككيا عدميا يذيب النص

---

(7) فصلت : 25 .

(8) نوح : 7 .

المقروء فى غيابات اللاأدرية المطلقة . هذا هو الأسلوب العصرى من آخرطراز لذلك الموقف الكفرى الخالد ، موقف جعل الأصابع فى الآذان ، واستغشاء الثياب ، والإصرار والاستكبار . لولا أن هؤلاء أصابعهم من صنع أنفسهم لا هذه الأصابع الحسية ، وثيابهم ألوان من « المعارف » والمناهج والفلسفات ، وإصرارهم واستكبارهم معه المنصب الجامعى ، والاطلاع الموسوعى والمؤلفات والحيثية المرموقة فى الأوساط الاستشراقية .

عرب الجاهلية أذعنت منهم الفطرة القريبة لبلاغة القرآن وبقى القلب مطبوعا عليه ، أما هؤلاء فسرابيلهم « المعرفية » وأكداس المفاهيم والمعطيات من مكتسبات العصر فى مجالات « العلوم الإنسانية » غطت فيهم حتى بقايا الفطرة والعياذ بالله السميع العليم .

★ ★ ★